ولان غيابك يجعل الوطن ابعد ، فعندما ينسفونك .... ينسفون خطى تتقدم ـ هكذا يحسبون .

ويا غسان ، حدد شكلك !

من طول الرحيل سقطت ذنوبي . ومن بعد الوطن اقتربت من الحقيقة . وشكلي ضائع فيكم .

وما اسمك الان .

لا شيء ... لا شيء . تبعثر اسمي مع اشلائي. حين تعثرون على اشلائي تعثرون على اسمي . ولن تجدوها ما لم تجدوا وطني .

واين وطنه ؟

لا تقولوا انه محتل .

هو ضائع فينا ... ضائع فينا ... ضائع فينا. فمن يخرج الوطن منا كي نراه ؟ منا نبدأ ، فكيف نبدأ، ومتى نبدأ ؟ اسألوا هذا السؤال من جديد . واذهبوا الى اسم غسان كنفاني واسرقوه ، اصلبوا اسمه على اي شيء وعلى كل شيء . اطلقوا اسمه عليكم لكي تصيروا ناسا يا عرب . واقتربوا من انفسكم ، من حقيقتكم ، تقتربوا من الوطن .

ها هم يتبارون في رثائك ، كأنك شيء ذاهب . ولم يعرفوا انك منذ رحلت ـ اتيت . قادم ... قادم من الريح، ومنازل الجيران وملفات التحقيق ومن الصمت واستمراء الهزيمة ومناقبها .

ها هم يتبارون في رثائك ، كأنهم يرثون فردا .
آه ... من يرثي بركانا !.

هذه لحظتك . فلا تجمع اشلاءك ولا تعد ... لا تعد . لا تنتظرنا في المهاجر . كان يجب ان نراك ... ان نعرفك ... ان نسير معك قبل اليوم . ولكن الموت لم ينضج فينا .

نعزي اهلك ؟ لا .

نعزي انفسنا ؟ لا .

نذهب الى جبل الكرمل ونعزيه .

نذهب الى شاطيء عكا ونعزيه .

نذهب الى فلسطين ونعزيها .

هي المفجوعة . هي الثكلى .

نعزيها ام نهنئها ؟ لا ادري .

فهي التي سترتب عظامك ، هي التي ستعيدتكوينك من جديد .

ونحن هنا ، سنموت كثيرا . كثيرا نموت ، الى ان نصبح فلسطينيين حقيقيين ، وعربا بلا تاريخ . ولكنني استأذنك الان ـ استأذنك يا غسان في البكاء قليلا . فهل تأذن لي بالبكاء ؟ هل تغفر لي ؟ . أما كنت تحبني يوم كنت هناك ؟!

محمود درويش

مناقشات

خواطر حول قصة « نصف كوب من دموع التماسيح »

لا اريد أن اتهم أيا من كتاب القصة ، ولكن بعد ان غرقنا في سيل جارف من القصص المبهمة المعماة ، وقد أفرط اصحابها في استعمال الرمز الذي نادرا ما اوحى بمضمون جيد وكثافة فكرية تبرر استعماله ، وكثيرا .. كثيرا ما كان ستارا مزيفا للخواء الفكري ولضحالة المحتوى ولعبا بالشكل على حساب المضمون ... بعد ان غرقنا في هذا السيل الجارف ، أظن انه يحق لنا ان نفرح وان نعبّر عن هذا الفرح حينما تطالعنا قصة كقصة الاستاذ صلاح عيسى « نصف كوب من دموع التماسيح » في العدد السابع من الاداب ١٩٧٢، هذه القصة التي أعادتنا الى الواقعية الاصيلة بعد ان شط بنا المزار.

فماذا في هذه القصة ؟

انها تحكي قصة « بنت اسمها حكمت مسعود الصعيدي » في الثامنة من عمرها ، مريضة بالقلب ، تسكن عزبة الورد التي جاء وصفها بانها « مستنقع بشري من القاذورات » مع ابيها العاطل عن العمل واختها المجنونة . وتحكي ايضا قصة رجل اسمه رأفت البشلاوي الاخصائي الاجتماعي الذي يعمل في أحد المستشفيات الحكوميه ، ووصف نفسه باسلوب ساخر قائلا : « رأفت البشلاوي مناضل سابق (الادله رصاصة في الذراع اليمنى ، ندبة فوق الحاجب ، وطعنة سونكي في الفخذ الايسر) مستعد لتوريد الشعارات ولزوم الاحتفالات والمواكب والمقالات وشعر المناسبات الركيك ، مؤلف كتاب « الطلقات ومقاوم الآفات باحسن الكلمات » .

والجسر الذي يصل بين القصتين هو رواية رأفت لحكاية حكمت مسعود مع الدكتورة وداد والحكيمة ضحى والست منيرة التمرجية وسعيد افندي العاملين في المستشفى ومع ابيها واختها ومرضها . وروايته لقصته هو مع صديقه حسين وزوجة صديقه التلفزيونية ، وخطيبته كوثر ، والحكيمة ضحى ، ثم عم بدوي الحمّال في محطة القطار ، واخيرا مع حكمة مسعود وعزبة الورد والمستشفى بمرضاها والعاملين بها .

صلاح عيسى قدم كل ذلك في سمفونية رائعة اسمها « نصف كوب من دموع التماسيح » .

ماذا اراد الكاتب ان يقول في قصته ؟ انه صور في بساطة ووضوح المواطن العربي في بؤسه الحقيقي ، وسعادته الزائفة ، وموقفه السلبي في كلا الحالين .

ولكن قيمة هذه القصة لا تكمن في الاحداث الانسانية التي ترويها ، وانما في دراسة الشخصية دراسة مستانية شاملة ، واستبطان عميق لتقلباتها النفسية وصراعاتها ، واهتماماتها . كما تكمن قيمتها في حس المرارة الصادق الذي يتسرب بين الصور الفنية، ومن خلال العبارات الساخرة ، وفي ذاك الرصد الثر للمفارقات .

هذه الكلمة ليست نقدا لقصة صلاح عيسى ، ولكنها خواطر قارئة استمتعت بما قرأت واحبّته ، ولعل المتعة والشعور بالرضى هما غاية الغايات في الفن .

دمشق **سلافة العامري**